ن والقلم وما يسطرون

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development

الرقم: ب ت ٤ / ٣٢٢٢ No:
التاريخ: ٢٠١٤-٤-٠٩ Date:

٢٠١٤ عام اقتصاد المعرفة

ديوان الوقف الشيعي

م / مجلة والقلم

تحية طيبة..

اشارة الى كتابكم المرقم ١٠٧٤/٤/٣ في ٢٠١٣/٦/٣٠ وآلية اعتماد المجلات العلمية لأغراض الترقية العلمية وبعد استكمال متطلبات ترويج معادلة مجلة (والقلم) الصادرة عن ديوانكم ، حصلت الموافقة على اعتمادها لاغراض الترقية العلمية.

..... مع التقدير

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

أ.د محمود حسين المرسومي
معاون المشرف العام للشؤون العلمية
٢٠١٤/٤/٨

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية / شعبة التأليف والنشر

مجلة والقلم

فصلية المُحَكَّمة

تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والعلمية والفكرية والقرءانية

تصدر من المركز الوطني لعلوم القرءان

ديوان الوقف الشيعي

العدد (٤٨)

السنة السابعة عشرة ربيع الأول ١٤٤٦ هـ تشرين١ ٢٠٢٤ م

مجلة والقلم

فصلية المُحَكَّمة

تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والعلمية والفكرية والقرءانية

تصدر من المركز الوطني لعلوم القرءان
ديوان الوقف الشيعي

فصلية محَكَّمة

تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية ةالعلمية والفكرية والقرءانية

فصلية مُحكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والعلمية والفكرية والقرءانية
العدد (٤٨) السنة السابعة عشرة ربيع الأول ١٤٤٦ هـ تشرين الأول ٢٠٢٤ م

الاشراف العام

الاستاذ الدكتور

حيدر حسن الشمري

رئيس ديوان الوقف الشيعي

رئيس التحرير

أ.د.حيدر عبد الزهرة

مدير التحرير

أ.م.د. رافع محمّد جواد العامري

هيأة التحرير

أ.د. طلال خليفة سلمان

أ. د .عمر عبدالله نجم الدين

أ.د .حازم طارش حاتم

أ.د.حميد جاسم عبود الغرابي

أ.م . د. محمّد كاظم كمر الربيعي

أ. م . د .عقيل عباس الريكان

أ. م . د . أحمد حسين حيال

أ. م . د . قاسم خليف عمّار

أ. م . د . مها منصور عامر

م.د. ميسون حسن صالح الحسيني

هيأة التحرير من خارج العراق

أ.د. مها خير بك ناصر

الجامعة اللبنانية / لبنان

أ.د.خولة خمري

جامعة محمّد الشريف / الجزائر

أ. د. عماد علي عبد اللطيف علي

جامعة قطر/ كلية الآداب والعلوم

أ.د. محمّد رضا ستودة نيا

جامعة اصفهان/إيران

الرقم المعياري الدولي

2617 -419x

رقم التصنيف الالكتروني

26042

رقم الاعتماد

في نقابة الصحفيين العراقيين

١١٣/ لعام ٢٠٠٥

العنوان الموقعي

جمهورية العراق

بغداد / شارع فلسطين

قرب نادي الأخاء التركماني

المركز الوطني لعلوم القرءان

الاتصالات

مجلة والقلم المُحَكَّمَة

٠٧٧٠٧٩٣٥٩٧١

:Email

alwatnywalqalam@gmil.Com

صندوق بريد / ٣٣٠٠١

دليل المؤلف.....

١–إن يتسم البحث بالأصالة والجدة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢– إن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربية . ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣–أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word ٢٠٠٧ او ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزَّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجِدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٤–أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A٤).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصغية APA

٦–أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين الف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧–أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨–أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢). أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .

٩–أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام التلقائي (تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢ .

١٠–تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم والمسافة بين الأسطر (١) .

١١–في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢–يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٣–يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤–لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥–لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قبلت أم لم تقبل.

١٦–دمج مصادر البحث وهوامشه في عنوان واحد يكون في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧–يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨–يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الاستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩–يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) الف دينار.

٢٠–تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١–ترسل البحوث على العنوان الآتي: (بغداد – شارع فلسطين المركز الوطني لعلوم القرآن)

أو البريد الألكترونيّ: (mayson hassan 846@Gmail.com) بعد دفع الأجور في الحساب المصرفي العائد إلى الدائرة.

٢٢–لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

مجلة والقلم
فصلية مُحكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية
تصدرعن المركز الوطني لعلوم القرآن/ ديوان الوقف الشيعي
العدد (٤٨) ربيع الأول ١٤٤٦هـ تشرين الأول ٢٠٢٤م

المحتوى

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	القياس البياني آليةٌ في الاستشهاد البلاغي	م.د. ميسون حسن صالح	١٠
٢	جهود مكتب تنسيق التعريب في توحيد المصطلحات	أ. م. د.خالد حميد صبري نورس عامر علي	٢٠
٣	المهمل، مقاربة معجمية	أ م.د حسام قدوري عبد	٣٦
٤	قاعدة النهي يقتضي التحريم عند الاصوليين نماذج تطبيقية من سورة الانعام	أ.م.د. عطا مهدي فليح م. م.هاجر عبد الكريم علي	٤٦
٥	الإمام الكاظم(عليه السلام) حجة الله في الأرض على أهل زمانه	م.د. هدى سلمان حسن داود	٦٠
٦	بر الوالدين في الديانتين المسيحية والاسلامية دراسة مقارنة	م. د. أنعام ابراهيم راضي	٧٨
٧	القارئ والمتلقي في النقد البلاغي العربي القديم عبد القاهر الجرجاني أُنموذجاً	م.د. يوسف رسول حسين	٩٢
٨	الموت الدماغي وأحكامه الفقهية	م.د طلعت كاظم مهدي	١٠٦
٩	نماذج من المسائل العلميَّة الحديثية الخلافية بين مدرستي بغداد وقم	ميلاد عزت عبدالله هادي أ.م.د.عقيل رزاق نعمان	١٢٦
١٠	العلاقات التقويلية في كتاب الأصول في النحو لابن السراج(٣١٦هـ)	دموع موفق رزاق أ. م. د ميّاسة وليد طه	١٤٤
١١	العنف الثقافي في الرواية العراقية	م. م : أسعد كاظم بدر أ. د. باسم صالح حميد	١٥٨
١٢	الرؤى السياسية للإمام علي(عليه السلام)من خلال تجليات عهده لمالك بن الاشتردراسة مقارنة مع دستور الولايات المتحدة ١٧٩١	م.م. سمر قاسم الحسيني	١٧٠
١٣	ترتيب السور القرآنية	م.م.طه ياسين معارج	١٨٢
١٤	مرويات الإمام الرضا(عليه السلام)الفقهية في العبادات البدنية الصوم والصلاة والحجة	م.م ساره مكسيم جبر إبراهيم	٢٠٠
١٥	الموروث الثقافي في شعر البحتري	م .م هديل قديم جري	٢٢٢
١٦	نظرية النحو النظامي وعلاقتها بكل من النحو الوظيفي والنحو التوليدي التحويلي	م.م هدى علي هاشم	٢٣٢
١٧	مفهوم الحديث عند المفسرين	م.م. علاء عبد الصاحب	٢٤٢
١٨	أثر الجوائح والأوبئة على أداء الزكاة دراسة مقارنة	م.م. مازن ربيع محمد	٢٥٨
١٩	أثر النص الحديثي في تفسير الأمثل للعلامة الشيرازي	م.م. مريم جمعة راضي	٢٧٤
٢٠	الكيد في سورة يوسف	م٠م.كوثر جبار زيدان علي	٢٨٦

فصلية مُحَكّمة تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية و العلمية والفكرية والقرءانية
العدد (٤٨) السنة السابعة عشرة ربيع الأول ١٤٤٦ هـ تشرين الأول ٢٠٢٤ م

العنف الثقافي في الرواية العراقية

م. م : أسعد كاظم بدر
جامعة ذي قار/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
أ. د. باسم صالح حميد
الجامعة المُستنصرية /كلية الآداب

المستخلص :
يرتكز العنف الثقافي في الرواية العراقية على رصد التحولات الثقافية والاجتماعية وما رافقها من تحول سياسي مناهض للسلطة، واختيار الجندي أنموذجا له، إذ تنطلق التمثلات من الوقوف على حياة الجنود في المعركة، والحياة الطبيعة، وممارسات المؤسسة العسكرية عبر فرض القمع الثقافي بكل تجلياته على الجنود بوصفهم الطبقة الأضعف ويقع على كاهلهم خوض المعارك المباشرة عبر تنفيذ الأوامر، وفرض الانتماء الفكري عبر تسيّد سياسة الحزب الواحد؛ لذا يسعى البحث الى تتبع التحولات العنيفة في الذات الإنسانية للجندي، وانسلاخه الوجودي لاسيما على الطبقة الواعية منهم، وتأثير العنف على الهوية الشخصية والعسكرية، وفقدان قيمة الرموز الوطنية، إذ غيرت ثقافة العنف التي فرضتها السلطة القيم الاجتماعية الى قيم خوف ورعب، واعتمدت السلطة على إنتاج وسائل متنوعة لترسيخ المتخيلات العنيفة في المشهد الثقافي الأمر الذي انعكس على مواقف الجنود تجاه الحرب، وتأثير العنف على اللغة والسلوك.
الكلمات المفتاحية: العنف الثقافي، الرواية العراقية، الحرب، الجندي.

Abstract:
Cultural violence in the Iraqi novel is based on monitoring cultural and social transformations and the accompanying political transformation against authority and choosing the soldier as a model. The representations start from examining the lives of soldiers in battle, natural life, and the practices of the military institution. Imposing cultural repression in all its manifestations on the soldiers as they are the weakest class and falls on their shoulders. Fighting direct battles by implementing orders, and imposing intellectual affiliation by prevailing in one-party politics Therefore, the research seeks to trace the violent transformations in the human self of the soldier and his existential estrangement, especially on the conscious class among them, the impact of violence on personal and military identity, and the loss of the value of national symbols, as the culture of violence imposed by the authority changed social values into values of fear and terror, and the authority relied on producing means Various to consolidate violent imaginations in the cultural scene, which was reflected in the soldiers' attitudes towards war, and the impact of violence on language and behavior.
Keywords: Cultural violence. The Iraqi novel .War.Soldier

المقدمة:
يعرف العنف أنه استخدام القوة البدنية أو السلطة، ويقسم العنف على: فطري، ومكتسب، والفطري هو ميل الإنسان للعنف منذ بداية الخليقة حتى اليوم؛ لأن الشر كامن في النفس البشرية، أما المكتسب فهو الأكثر خطورة، ويتسبب بأضرار جسدية، أو معنوية، والعنف الثقافي هو عنف مكتسب يمهد لضحاياه فكريًا؛ ليصبحوا ضحايا جسديًا في المستقبل، وأشد أنواع هذا العنف حينما يتبنى المثقف السلوك العنيف ويصدره، فالعنف الثقافي (يبدأ من القول، أو الخطاب الموجه نحو فئة،

أو عدة فئات اجتماعية مهيأة لاستقباله، والتفاعل معه، حتى إذا تمكن من أفكار هؤلاء، وهيمن على ميادين تفكيرهم تحول نحو الفعل التنفيذي)(١)، واحتلت الصورة العنيفة مساحات الصفحات الأولى للصحف والمجلات، وباتت الصور مع الموتى طبيعية جدّاً، فتعمد الصحف إلى نشر (لقطة يظهر فيها فردان من الجيش العراقي، أحدهما ضابط برتبة ملازم أول له شارب أشقر كما يبدو، يجلسان في وضع تأهب مركزين أعينهما على الكاميرا باعتزاز، وعلى الأرض أمامها جثة جندي إيراني قتيل، أجل إنهما يأخذان صورة للذكرى كما يفعل الناس قرب النصب العريقة والأشجار والشلالات)(٢)، ويبدو تقديم الصورة للجنود الشباب مع قتلى العدو تتلاءم مع حماسهم، واندفاعهم للقتل، والانبهار بالمعارك وهي صورة لا تتكرر لاحقًا بعد أن يصبح المنظر مألوفًا، وتختمر تجربة مرارة الحرب في النفوس، فيما تشير جلستهما بوضع التأهب، والنظر إلى الكاميرا مع ابتسامة انتصار تشبه وقوف الصياد مع صيده، والتصوير مع القتلى يسلخ ماهيتها الإنسانية، ويتعامل الجنود معها مثل أي مادة موجودة في ساحة المعركة، فالإطار العام للصور احتفاء بالنصر على جيش العدو؛ لتحفيز الشباب على الانضمام للحرب، وفي المعنى الأعمق تمهيد لجعل مشاهد العنف، والموت عادية، وهذا ما عمل التلفاز عليه؛ إذ (يتعمد المصورون بأوامر عليا تصوير الوجوه المحترقة والمشوهة، ويتلذذون إذا عثروا على ذبابة تجوس خلال خرائط الوجه، يقربون الذبابة حتى تغدو وحشاً كاسراً يلتهم الوجه بشهية لا مثيل لها)(٣)، وعلى الرغم من أن التصوير انتهاك لمبدأ الكرامة الإنسانية، إلا أن تعمد عرض الصورة المقربة لوجوه قتلى العدو المشوهة توظيف للصورة التلفازية؛ لتقبل العنف عبر عرضه المكرر، والتشجيع على ترسيخ العنف عند الجنود، وجعل صورة الموتى، وأشكالهم المشوهة معتادة، فالعنف الكامن خلف الصورة في الصحيفة، أو التلفاز غير ملموس، أو محسوس، أو ظاهر، ينساب رويدًا من دون الشعور به ليسيطر على الأفعال والسلوك وينتج مجتمعًا عنيفًا؛ لأن (التلفزيون العنيف يشجع العدوان، وأن الأشخاص العنيفين هم الأكثر انجذابًا نحو البرامج العنيفة)(٤)، وهذا نمط استمر لما بعد الحرب أيضاً عبر عرض برنامج تلفازي يومي يصور الجثث، والدمار؛ لتعزيز إدامة العنف.

الهوية العسكرية

أسهم عنف السلطة بفقدان الهوية الثقافية للجنود، التي ترتبط بشكل مباشر بالثقافة السياسية، والتي هي جزء من الثقافة السائدة في المجتمع، وانعكاس للواقع السياسي، أي طريقة النظر إلى الأشياء، إما عامة، أو مركزة على جانب محدد مما يحيط بالمرء، ويصبح مجموع التوجهات ثقافة سياسية، وتكون على مستويين، الأول: مستوى فردي، وتتخذ فيه الثقافة بُعدًا سيكولوجيّاً: يتعلق بشعور الفرد، وتفكيره بالرموز، والقواعد التي تكوّن النظام السياسي والروابط بينه، وبين ذلك النظام، وتأثير هذه الروابط على سلوكه، والآخر: يتعلق بمستوى النظام: أي كيفية تقييم الأفراد للمؤسسة السياسية الرسمية، والموقف من النظام السياسي القائم، فالثقافة السياسية تنطوي على مجموعة من القيم والمعتقدات، والعواطف السياسية للسيطرة على أمة في وقت معين، فضلًا عن أنها تتحكم بالاتجاهات، وتنظيم صيغ التزام الأفراد، وتعين واجبات الأشخاص الذين يمثلون الدولة؛ لذا يمكن الربط بين الاتجاهات الفردية، وسلوك الأشخاص بالنظام السياسي الذي يعيشون في كنفه(٥)، وتأثير هذا النظام على العلاقة بين الجندي، والتزاماته تجاه مؤسسته العسكرية، وبلاده.

يعد الشاب نزار في رواية (الخائف والمخيف) مثالاً للشباب الذين اندفعوا للمشاركة في الحرب ترافقهم الأناشيد الحماسية والأهازيج؛ ليكتشفوا أن الأمر غير ما روج له، وقرر نزار الذهاب إلى الجبهة، ودخل البيت ببدلة عسكرية، ورأس حليق من دون معرفة والديه بذلك، مقرراً الذهاب إلى الجبهة، على الرغم من اعتراضهما، والتحق مع مجموعة أخرى من الشباب الذين ربطتهم علاقات وطيدة، بيد أن هول الحرب أطفأت تلك الجذوة، وعاد من الحرب (كجثة غائبة عن ما حولها، يسمع الأصوات وهو غائب، وينظر لمحدثيه دون أن يراهم، ويتكلم دون أن تخرج الكلمات منه)(٦)، إن أهوال الحرب أكبر من أن يتحملها شاب متحمس، فالأغاني والأناشيد المحفزة وسائل استعملتها السلطة؛ لتأجيج فورة الحماس عند الشباب مستثمرة اندفاعهم، فالدفق الثقافي يحاصرهم، وتجربتهم في الحياة قليلة حتى إذا ما انغمسوا في الرصاص والدخان بدأت

الحصون تنهار، وأضحى الهدف الوحيد هو الحفاظ على الحياة، ووصل الأمر بنزار أن يترك أقرب صديق يعالج الموت بعد أن (تعاهدا في الخندق مرة على أن يخلي أحدهما الآخر، لكنه منهك غير قادر على أن يجر جثته)(٧)، أضحى نزار كائنًا آخر، مزقت الحرب اندفاعه، والتهمت شبابه، وفتت جذوره من الداخل، حتى تآلف مع الموت، ويبدو أن نومه الطويل بدشداشته البيضاء على شراشف السرير البيض علامة يشبه جثة ملفوفة بكفن.

إنَّ معاناة نزار لم تكن فردية، فالشباب أكثر فئة وقع عليها حيف الظلم والحرب، ويمثل هؤلاء ظاهرة ثقافية واجتماعية، فانعكاساتهم كانت مرتبطة بالوضع السياسي والنظام والمجتمع والترابط العائلي، كان العنف والموت يحشرانه في زاوية ضيقة، تضيق عليه حتى يتكور على نفسه، ولا يجد طعماً في كل شيء، وباءت محاولات والده بانتشاله من هوة اللا معنى التي يعيش بها بكتابة ما شاهده من أهوال، فالبوح يخفف عنه قليلاً، لا سيما أنه بارع في كتابة القصة القصيرة، واعتذر نزار (ما الفائدة؟ لن أعيد الحياة للأموات... جربت، بدت الكلمات نفسها مثل جثث متفحمة على الورق)(٨)، لقد أسهم الإعلام الثقافي بتجميل العنف، وجعل الحرب محطة للتنزه واختبار الرجولة، كانت مغامرة فاشلة، لقد سلبت الحرب منه كل شيء حتى قدرته على الكتابة، وصنعت منه كائناً آخر؛ لذلك تغيرت قناعاته، ووجهة نظره، تخلى عن الكتابة، وتقوقع داخل غرفته، ولم يغادرها، وقرر عدم العودة إلى الجبهة ثانية مهما كان الثمن.

إنَّ الاندفاع، والحماس يفتر كثيراً بعد الدخول إلى عمق المأساة، وما شاع خلال الحرب من تقدير مضاعف من قبل النساء للجندي المحارب تلاشى، وانسحق تحت سلطة النظام في ترويج الأكاذيب، ففي الوقت الذي كانت الفتاة (لتتباهى أمام البنات بحبيبها المحارب الشرس، كانت تلح على كتابة الرسائل لها من الجبهة، المقاتل الذي يكتب رسائل الحب المضمخة برائحة التراب، ومعها قطعة من شظية وبقعه دم لجندي قتيل)(٩)، وتحولت تلك البدلة من رمز رومانسي يوازي التغزل بالحبيبة والتعلق بالأرض التي تتشابه معه في اللون، وعنوان دال على الرجولة والشجاعة، إلى سجن رمزي ومادي يحاول الجندي الخلاص منه، وأضحت ملابس الجندي (أقبح بزة في تاريخ الخلق منذ ورقة التوت وحتى بدلة رواد الفضاء، بزة حقيرة بلون .. الكلب)(١٠)، فالملابس العسكرية التي كانت عنصر تفاخر وتمييز تحولت إلى صورة لا تمثل سوى الموت، وتتحول العلامات الدالة على الانتماء العسكري والوطني إلى علامات للرعب والخوف، وأضحى الخلاص منها بمثابة خلاص من الحرب، ويبدو أن دلالة اللون جزء من التحقير لها، ففي الوقت الذي كانت روايات الحرب ترفع من شأنها بأن لون البدلة يشبه لون الأرض، وأن الجندي في الخندق، أو على الساتر يتمازج معها حتى يصبحا قطعة واحدة، نالت روايات ما بعد الحرب من تلك القيمة، وأنزلتها منزلًا وضيعًا، وهذا التحول مرادف لنظرة الجندي نحو الحرب، وما يمثل الحرب.

وتمثل (البيرية) رمزاً للانتماء العسكري، ولعلها أهم جزء من الملابس، وفيها ألوان خاصة لكل صنف عسكري، فهي عنوان الجندي، ويحاسب عليها بشدة حينما يخلعها حتى لو كان خارج الجبهة، ويجري تجريدها منه حينما يُقدَّمُ مُذنِبًا، فيخلع بيريته؛ لأنه في موقف العقوبة، ولا تؤدى التحية احترامًا للرتبة الأعلى إلا عند ارتداء البيرية، ويبدو أنه حينما ينزع البيرية عن رأسه فإنه يخرج من قيود العسكرية الصارمة، وربما الخروج من الحرب، وهو ما وجده الجندي خضر قد حين قرر أن يتحرر من الحرب نهائيّاً (خلعت بيريتي ورميتها من فوق أعلى قمة للهزيمة، الهزيمة من حرب إما أن أقتل فيها شخصا لا أعرفه، أو يقتلني فيها شخص لا أعرفه)(١١)، تلك الحرب التي وجد فيها فاصلاً بين ذاته إنسانًا، وذاته جنديّاً، والبيرية قيد عرفي عسكري، وارتداؤها يعني التأهب، أما نزعها فاستراحة؛ لذا فإن الجندي حين يذهب مُرغَمًا للجبهة مرتديًا زيه العسكري وبيريته التي يشمخ النسر فيها، لا يجد الشموخ إلا انكساراً، انكسار الروح المعنوية للجنود، وهو ما يصوره الجندي في رواية (فندق كويستيان) مصرحاً: (قبلتي كراج النهضة، أنا وحقيبتي وبيريتي السوداء ونسرها المنكسر وبسطالي الأسود المصبوغ، الملفوف بقيطان اشتريته خصيصا من محل في علاوي الحلة مخصص لقياطين المراتب، أشيائي تمشي أمامي، الحقيبة تسحل البسطال خلفها، وأنا خلفها مثل خروف فاتحة)(١٢)، وتبدو ثيمة اللون هنا مرتبطة بمصير الجندي، واللون الأسود هو لون لا يعكس

أي درجة من درجات السطوع، بل يمتص جميع الألوان التي تسقط عليه من دون أن يقوم بعكس جزء منها، وهو يرمز إلى الاكتئاب، والموت، والشر، ويصور النص الجندي الذاهب إلى الحرب محاطاً بالسواد، فالبيرية سوداء والبسطال أسود، وكأنه يعلن الحداد على نفسه، وأدوات الحرب تجره، وهو يمشي خلفها منصاعاً إلى مصيره المحتوم.

وتعد ساعة الالتحاق هي الأشد على الجنود، وعوائلهم، ويقف المفجوعون من الحرب سدًّا أمام التحاق الجنود، ويمتد الخوف من الالتحاق في رواية (ظهر السمكة) إلى العائلة؛ إذ يرفض سائق سيارة الأجرة أن يوصل الجندي سليم الى مرأب السيارات، بل حاول ثنيه عن الالتحاق، فيما يصر الجندي على الالتحاق، مؤكداً أنه ليس خائفًا أو جباناً، ولكن السائق يقرأ المسألة من زاوية أخرى تتعلق بالدكتاتور؛ لأن الحرب ليست عادلة، فهي حرب السلطة وقيادتها، والسائق ينظر إلى الحرب من وجهة نظر الأب المفجوع؛ لذا يصر على منع سليم من الذهاب إلى الجبهة (هل أنت مجنون لتتخيل اني أوصل شابا بسيارتي واضعه في فم الموت؟ ابني، قبل سنين أوصلت «عماد» وحيدي الى كراج النهضة بسيارتي هذه، ولم يعد إلا جثة هامدة في تابوت، ملفوفا بالعلم، من يومها عرفت معنى أن يوصل أب أبناءه بسيارته ويسلمهم بيد موت غاشم)(١٣)، لقد تغير رأي العائلة نحو المشاركة في الحرب، فالصورة الحماسية التي قدمتها روايات أدب الحرب؛ لدفع الآباء والأمهات أبناءهم للقتال، وحتى قتلهم في حالة الامتناع، لم نجدها في روايات ما بعد الحرب، فالصورة السابقة هي رأي السلطة وتوجهها، أما الأخرى، فهي رؤية العائلة نفسها، والأب المفجوع حينما حاول ثني سليم عن الذهاب إلى المذبحة، لا يرى السيارات إلا توابيت تنتظر الضحايا، فاستحالت مشاهدتها إلى رعب فاجع.

إنَّ أشد أنواع العنف وأقساها تلك التي يتنازل الجندي فيها عن عنوان بلاده ورموزها، لقد كانت السلطة الدكتاتورية إحدى الأسباب الرئيسة لتفكيك النسيج الثقافي، فتحولت الرموز الثقافية إلى فنتازيا من العبث، والقسوة، فقد طال العنف رمز البلاد في الوقت الذي تشح فيه التوابيت والأعلام، ويزداد عدد الضحايا، وتغص برادات مراكز التسليم فيُطرح الموتى في الممرات، في رواية (فندق كويستيان) يتحدث الجندي ناصر عن تراكم الجثث، فبعد إكمال الجنود تجهيز مجموعة منها بقيت عشرون جثة ملقاة بعضها فوق بعض يُصار إلى صناعة أعلام وتوابيت لها، والتوابيت تصنع من خشب صناديق القذائف، وواجههم شحٌّ في ألوان العلم، وهم لا يمتلكون القماش الكافي، ووجد ناصر الحل بطريقة فنطازية (أن أعصر الجثث الطازجة الواصلة للتو وأجمع منها الدماء الطازجة وأصبغ بها مساحة اللون الأحمر على القماش الأبيض، فيما ذهب أحد الجنود بجمع الزيت المحترق من زيت الإيفات الأسود المحترق ليرسم بالفرشاة اللون الأسود، لم يبق سوى اللون الأخضر فذهبت الى غرفة المساعد وجلبت ملابسه الزيتونية أخذت أقطعها وأفصل منها ستين نجمة رغم أنها غير متساوية لكنها كانت تفي بالغرض، وتم لصقها على كل علم)(١٤)، ويبدو أن لجوء الجنود إلى الفنتازيا للتحرر مما هو مألوف، ولجوءهم إلى ابتداع علم خاص هو هرب من الواقع، وعلاقة الألوان ترتبط بالعنف فاللون الأسود هو لون زيت محركات السيارات العسكرية؛ إذ يدل السواد على الموت، والأسى، وعلامة فارقة لملابس المفجوعين من الحرب، فيما يشير الأحمر إلى الخطر، والعنف، ولون دم الجنود الذي أهرقته الحرب، وأخذ جنود المركز دم الضحايا دليل على شراسة المعارك، والجثث الوافدة على مدار اليوم، فيما يشكل اللون الزيتوني علامة لأعضاء حزب البعث، وتعاملهم العنيف مع الجنود وعوائلهم، ويشكل اللون عند ناصر مصدر رعبه ارتعب وصرخ (أكرهه ككرهي لدم أسناني)(١٥)، ورؤية اللون تدل على الرعب والخوف، والكره، فقد انغرست ذكراه السيئة في ذاكرته، وبات كل ما يرتبط به يسبب ألمًا نفسيًّا حادّاً له.

وهكذا عمد جنود المركز إلى صناعة علم لا يشعرون بقيمته، والانتماء اليه، علم مصنوع من دم الجنود، وملابس الضباط، وزيت السيارات العسكرية بطريقة فنطازية سوداوية، حتى إن أحدهم ذهب به ليقضي حاجته، وإهانة هذا العلم هي إهانة للحرب؛ إذ لم يعد رمزاً ثقافيّاً؛ لأن الجنود يرونه لافتة للموت من دون تصريح، وترتبط مع الموت رموز أخرى مثل سيارة (تكسي كراون)(*١)، ولا يتوقف عند هذه الرموز، بل امتد العنف الثقافي إلى أسماء الأشخاص والمدن(*٢).

الهوية الشخصية :

يعتز الإنسان باسمه وهويته، ويسعى لامتلاك شخصية مستقلة، ولكنه أمام العنف، والموت يضطر للتخلي عنهما، ففي رواية (قشور بحجم الوطن) يعود محمد الذي هرب، وتسلَّم أهله جثة أخرى، وإعلانه شهيدًا؛ ليجد نفسه غير مرحَّب به، بعد حصول العائلة على امتيازات الشهداء، فقرر التخفي في البيت مرافقًا شقيقه حسين الموشك على الموت، وإخفاء موته؛ لينتحل شخصيته(١٦). مستثمراً الشبه الكبير بينهما، فأضحى محمد أمام خيارين كلاهما موت، الموت الأول: جسدي، إذا سلَّم نفسه إلى وحدته، فسيعاقب بالإعدام على جريمة الهرب، والموت الآخر: وجودي، باشتراط أن يتنازل عن هويته واسمه؛ ليعيش في جسد جديد، ويحمل أفكارًا جديدة ويتعايش مع اسمه، وفكره الجديدين، ويقتل شخصيته النهائية، ولم يكن له خيار آخر، ولازم حسين حتى مثله تمامًا في الشكل، والسلوك، والأفكار، وطريقة الكلام(١٧)، ودفن حسين في الغرفة، وعلقت صورة الشهيد محمد وكان الأمر ضاغطا عليه (أشد ما أفزعني وجرني الى سؤال الهوية هو صورتي المعلقة في غرفة الجلوس والمؤطرة بالسواد، صورة الشهيد محمد)(١٨)، وأسهمت العائلة في ترسيخ شخصيته الجديدة، ومناداته باسم حسين وتحاشى النظر في المرآة، إنَّ انقسام الشخصية، والعيش في شخصية أخرى هو حال الجنود الذين يتعاملون مع الحرب وهم غير مقتنعين بها، عنيفون في الظاهر، ومسالمون في الداخل، لقد عمقت سياسة السلطة من انشطارهم وتشظيهم، وتكمن الصعوبة في تقبل وضعه الجديد، ودفن شخصيته، إن ضياع هويته ومحاولاته التأقلم مع الشخصية الجديدة تواجه بعثرات وانتكاسات حتى بعد هجرته إلى كندا عامله أحد الهنود الحمر الذين يعدون أنفسهم السكان الأصليين بقسوة طالبًا منه العودة إلى بلده؛ لأنه ليس مواطنًا أصليًّا، فهو دخيل على الاسم، ودخيل على البلد، ورافق ضياع الاسم ضياع في الهوية الإيمانية والقومية (هل أنا عربي أم مسلم أو عراقي أم كندي، هل اسمي محمد أو حسين أم مستر كابي كما ينادونني؟)(١٩)، عاش في ضياع بين التأقلم مع شخصيته واسمه الذي يرفضه من الداخل، ويقبل به خارجيا، وبين التأقلم في البلد الآخر الذي يرفضه من الداخل ويقبل به ظاهريًّا، وكانت بلاد الغربة هي التسمية الصالحة لحالته، كان غريبًا فيها وغريبًا في شخصية حسين واسمه، الأمر الذي ضغط عليه كثيرًا حتى أدمن الخمر، وباءت محاولة الانتحار بالفشل، وأمام هذا الانهيار قرر أن يعلن أنه محمد، ويخرج جثة حسين، وكانت الفاجعة القاصمة أن البيت دُمِرَّ تمامًا بصاروخ وانهار كل شيء، لقد أحالت الحرب كل شيء إلى أنقاض، الأرواح والأجساد والنفوس، كان عليه أن يعيش هكذا من دون أية هوية، كما يعيش كل الجنود الذين أفقدتهم الحرب، وسياسة السلطة هويتهم الحقيقية.

يمتد عنف الهوية الى تقديم الجندي ابن جلدته للموت، ففي رواية (بقايا) يختار آمر الوحدة الجندي الكردي (أنار) للذهاب مأموراً بأحد الجنود المحكومين بالإعدام بتهمة بالتجسس لصالح إيران، فتعامل أنار معه تعاملاً إنسانياً، وحل وثاقه، وقدم له الماء والطعام، وتحدث معه بعدما علم أنه كردي من السليمانية، وحينما سلمه الى مقر الوحدة علت صيحات الفرح إذ كان هذا الموضوع بالونة اختبار لولائه، ثم أعدم الجندي أمامه (٢٠). إنَّ الحرب ليس فيها ما هو متوقع، غريبة ومحيرة، وما يمكن أن يشار إليه هنا هو الشك في الولاء من قومية انضم أبناؤها الى صفوف الجيش، بيد أن علامات الاستفهام دائرة حولهم، وفي كل فرصة يتم اختبار الولاء، وعاش في دوامة أن يكون محل شك ومراقب على الدوام ليضيع بسبب قوميته (أحاول أن أخرج من نفسي لأعرف نفسي وكنت أعلم أنني لن أنجح أبدا في أن اعرف من أنا وما كنته وما أصبحت عليه)(٢١). من الممكن أن يقال إن ذلك بديهي في ظل انفلات الأكراد ومعارضتهم وهم يفتحون جبهة مقاومة ويقاتلون بشكل مستمر ولابد من الحذر من أي خرق، بيد أن أنار بعدما أيقن أنه واقع تحت مؤشر الشك قرر الهرب لأنها ليست حربه؛ بل حرب رجل وحزبه فلو كانت حربه لماذا يتم اختباره؟ ويبقى في دوامة الخوف أن يصوب بندقيته نحو العدو ويجد أن بنادق رفاقه الجنود مصوبة نحوه.

تقييد الحرية الفكرية:

يأخذ العنف الثقافي شكلًا آخرَ عبر تقييد الحرية الفكرية، والانتماء بالإكراه، وهو نوع من العنف لسلب الإنسان حريته في اختيار الانتماء الفكري والسياسي؛ إذ واجه الجندي (سليم) في رواية (الشر الأخير في الصندوق) لفلاح رحيم ضغطاً هائلًا بعدما جرى نقله من الجبهة إلى وحدة قريبة من منزله بغداد؛ لأنه وحيد لعائلته بعد مقتل أخيه، بيد أن فرصة الخروج من فك الحرب، اصطدمت بقضية انتمائه الحزبي، فلا يوجد في أبجديات السلطة أن يكتب في عنوان في حقل انتمائه الجندي: مستقل، فبات أمام خيارين (إما طلب السلامة بالانتماء إلى البعث، وإما الموت على الجبهة الأمامية في سبيل البعث)(٢٢)، وكلاهما مر، فالموافقة خارج قناعته، والرفض يعني فتح ملفات الانتماء، ثم الخضوع للتحقيق وإشغال أقلام الرفاق الحزبيين في منطقته، ومراقبة البيت المستمرة، ومتابعة تحركاته(*)، واختار الانتماء لإبعاد عائلته عن المشاكل، وخشية المصير العنيف (٢٣)، ففي كل منطقة توجد منظمة، أو شعبة حزبية لديها جرد كامل بأسماء السكان، وملف لكل شخص، ومن أجل إحكام قبضتها الأمنية (تضع كل منظمة خارطة للبيوت، وعلى كل بيت علامة خضراء أو سوداء أو حمراء، فالعلامة الحمراء تخص البيوت الشيوعين، أما السوداء فهي بيوت المنتمين لحزب الدعوة)(٢٤)، ويبدو أن اختيار الألوان له دلالة على الشعارات، والألوان الخاصة بكل حزب، وتسعى السلطة لجعل العنف مقبولاً اجتماعيّاً بعد أن تحدد أن هؤلاء الأشخاص خطر على الوطن، فينظر لأي شخص خارج المنظومة الحزبية أنه عدو، ويستحق الموت، ومن هنا يتحول العنف إلى عنف جمعي في وصم كل معترض على سياسة السلطة أنه ضد الوطن، ويستحق أقصى العقوبات؛ إذ (يجري تمييز الأشخاص وإيذاؤهم أو قتلهم عندما يصنفون ... أنهم حاملو أفكار سياسية شائنة)(٢٥)، ولم يقاوم طويلاً وطلب الانضمام للحزب، ولكنه وجد التعامل باحتقار، ويبدو أن ذلك مقصود؛ لأنه لم يأتِ رغبة في الحزب وأهدافه، بل بالإكراه، وهذا ما التفت إليه رجال الحزب حينما حضر الاجتماع الأول مع ثلاثة جنود، أثنان منهما لا يقرآن ولا يكتبان، والآخر أبله يستهدفه الجنود بالمقالب، والسخرية، عقد الاجتماع (مرة واحدة، ربما لإهانته وتذكيره أن ما قدم من تنازلات لن يمر دون ثمن، لكن تلك المرة تركت ندبة لا تنسى في نفس سليم وإحساسه ... الغاية تمريغ الكرامة في قمامة البعث ثم ترك المرء يسعى مع القطيع) (٢٦)، ولم يكن الهدف هو كسب عضو جديد إلى الحزب بقدر الانتصار على الأحزاب المناوئة بانضمام عناصرها إلى حزب السلطة، فقد كان سليم جنديًّا ومثقفًا، لكن الثقافة والوعي مُرغت في التراب، فقد كان مسؤوله الحزبي أحد نواب الضباط ممن أكمل المتوسطة، ويبز العنف الثقافي في محاربة الانحياز الفكري؛ لأن السلطة لا تقبل أن يكون في صفوفها جنديّاً غير منتمٍ لحزبها، وإلا فالخيار الآخر هو الموت في حقول الألغام. ويعيش الجنود على الجبهة، أو خارجها حصاراً وضغطاً من المؤسسة العسكرية، والحزبية، ويخضعون للمراقبة والترصد، وتعامل المناوئين لها بالقسوة والبطش، وتدفع بالجنود المنتمين إلى أحزاب مختلفة فكريّاً عن حزب البعث إلى السواتر الأمامية في مواجهة الموت؛ ليتم التخلص منهم(٢٧)، فيما كان ثمن عدم الانتماء إلى الحزب سبباً في تشويه شكل الجندي عبد الله وحياته في رواية (ليل البلاد) حينما دخل السجن منذ اليوم الأول له في الجيش؛ بسبب حلق شاربيه، تلك العقوبة الغريبة التي لم يكن متعَارفًا عليها من قبل، والشوارب من أكثر المظاهر الخارجية التي تعكس مرجعيات أيديولوجية، وتكتسب أهميتها في تحدد هوية رجال السلطة، وعلى الرغم من عدم قناعته بالسبب الذي صرح به أحد السجناء من أن القضية أكبر من الشارب، وأن في الأمر سياسة، لكنه وجد الأمور تسير على وفق هذا التصور، بعد أن وجد أنه في موضع الريبة والشك، ويتحاشى السجناء الاختلاط معه، أو التقرب إليه، ويعامله حرس السجن بقسوة مفرطة، وعلم أن الموضوع ينحصر في عدم الانتماء إلى الحزب، وتأشير موقفه في سجلات الأمن أنه (مستقل)، الأمر الذي لم يقنع ضابط التوجيه السياسي؛ لأن الاستقلالية تعني عدم قبول السلطة، والوقوف بالضد منها، فصرخ به:

(من أنت حتى تستقل؟

–أنا لا شيء يا سيدي

–طبعا أنت لا شيء، يا...، يا مرا

كان يتوقع الأذى والعقوبة كل لحظة، انكمش جسده، صاح به الضابط ثانية:

– أتسجل أم لا؟

– لا، سيدي

– أخرج يا ابن ...)(٢٨).

إنَّ نعت الجنود بالحيوانات يرتبط مع رسم السلطة لشكل الإنسان المُحيوَن، وهو وصف يلتصق بالجنود الضعفاء، ففي ظل حكم البعث تحول العراق إلى معسكر كبير، ولا وجود للحرية الفكرية، أو السياسية، فكان الجندي بين خيارين: إما أن يقبع في عبودية مطلقة للحزب، والسلطة، أو الدخول إلى السجن، ففضل السجن، ولكن السلطة تحاول بما يتاح لها من وسائل التخلص من الأشخاص المشكوك بولائهم بعدِّهم ورماً سرطانيّاً يجب استئصاله، وبعد نقله إلى إحدى الوحدات في خطوط المواجهة نقل معه موقفه من الحزب، وهذا يعني التعامل معه بحذر، أو التخلص منه؛ إذ دفع به مع ثلاثة جنود آخرين في كمين للمعارضين الأكراد؛ للتخلص منه بطريقة مثلى، وفي المواجهة قُتل جنديانِ وأسر عبد الله مع جندي آخر.

وفي رحلة بين المجاميع المسلحة تعرض للجوع، والخوف، والضياع، والمصير المجهول، وعاش انسحاقًا إنسانيًّا، فقد أضحى جنديّاً هامشيّاً من السجن إلى التيه، ويبدو أن التحول من سجن النظام إلى سجن معارضي النظام هو تحول من الشوارب الحليقة إلى الكثيفة، ومن الاستقلال حزبيّاً إلى القتال جنب الأحزاب الأخرى، وباتت حياته مشوشة مليئة بالخراب، فالعنف الثقافي تحول من عنف فكري إلى عنف جسدي يحطمهم، ويشوههم.

لقد كان الجنود في الروايات السابقة بين مؤيد مهان، ورافض مشوه، بالإكراه على الانتماء لحزب السلطة؛ إذ ليس في أبجديات الحزب مفردة (مستقل)، فإذا لم تكن معي فأنت ضدي، وكانت تقدم إحصاءات دقيقة عن انتماءات الجنود الحزبية حتى القتلى منهم(٢٩)؛ فإن الجندي صلاح في رواية (بوهيميا الخراب) لصلاح صلاح انغمس في العنف بعد انتمائه، فقد عانى من الضياع، وخضع للمراقبة الشديدة، وتجنب الطلبة محادثته خشية اتهامهم بالتعاطف معه بعد اعتقال والدته بتهمة الانتماء إلى الحزب الشيوعي، فبات وحيدًا معزولًا لا يقترب منه أحد، وشعر بالاضطراب والهلع، وشخَّص الطبيب إصابته بالشيزوفرينيا، واتجه إلى الخمر والمخدرات، وتاه في الشوارع، ونام في الأزقة، وأُلقي القبض عليه، وأودع السجن واعتُدي عليه جنسيّاً، لقد سُحقت كرامته، وضاعت إنسانيته، وأصبح مثل حشرة تدوسها الأقدام، وتم ذلك كله بتخطيط رجال الحزب، والأمن الذين وجدوا أن الوقت قد حان لعرض انتمائه للحزب، وتم تجنيده لمراقبة الطلبة، كان ضعيفاً من دون مقاومة، فالسلطة حققت هدفها بتحطيم ذاته، وتهشيم إنسانيته، وتخلى عن حبيبته بعد اقناعها بالعمل معهم، وكان يعامل باحتقار وازدراء، ووضع في (حلقة حزبية خاصة تسمى النشاط الوطني، كنا مجموعة بائسة ونكرات، لقد لفظنا الحزب لكن ليس خارج الجسد الحزبي إنما إلى مكان آخر يضم المشوهين فكريا والشيوعين وأصحاب السوابق)(٣٠)، ويبدو أن سلوكه مع الحزب، وانصهاره في أعمال غير مقبولة أخلاقيّاً، وضغط العنف انعكس على سلوكه في الجيش، وتحول إلى إنسان آخر في الجيش الذي واجه فيه انسحاقاً كبيراً (لم أعد أشعر بإنسانيتي التي كانت مسحوقة، وكان هناك نظام شره يحولنا إلى تفاهات ...الضباط يهينوننا والعرفاء يهينوننا والمسؤول الحزبي في الجيش يهيننا)(٣١)، تعامل السلطة هكذا نماذج بتعال، واحتقار، ونبذ؛ لأنها باعت نفسها، وتواطأت للقبول بالقيام بأعمال دونية، والدور الذي يمارسه المسؤول الحزبي لا يقل قسوة عن ممارسات العنف اللفظي والإهانة، الأمر الذي انعكس على فقدان الرغبة بالكتابة، والقراءة، فالإهانة تحطم المعنويات، وتقتل الرغبة في الإبداع.

تكمن المرارة الأكبر أيضاً في المنع من الكلام مع الرغبة الكبيرة فيه؛ إذ مارست السلطة أشد أنواع العنف الثقافي على المثقف حينما يتم فرض الصمت عليه، وتكبيل كلماته، فالإقصاء يعني حرمان الإنسان من حرية الكلام، وهذا التأثير هو عبارة عن

حرمان من الحياة نفسها، فحياة الكاتب بين قلمه وروحه(٣٢)، فمن أشد الأشياء إيلامًا أن يعيش الكاتب نوعًا غريبًا من كتمان الأفكار خشية اكتشافها، فلا حديث عن أي فكرة؛ لأن مجرد التخطيط لقصة لا تمجد الحرب يحاكم عليها بتهمة خيانة الوطن (إذا أردت النشر عليك أن تكتب أدب الحرب، ...، لم يكتب عن الجرحى، والمخذولين والهاربين والمرضى النفسيين، إنما يكتب عن الانتصار والروح الحربية للإنسان، والتضحية بالجسد والروح للوطن، لكن هناك الجانب الأخر من الحرب الوجه البشع)(٣٣). من البديهي محاربة رفع القناع عن الحرب ومخالفة السائد في أدب الحرب، فالعنف الثقافي يكمن في الرقابة الصارمة على المنتج الأدبي، ومنع الكاتب من النشر، وحينما حصل على فرصة لنشر مجموعته القصصية خارج البلاد تناول فيها قصصًا بشكل مغاير لما هو سائد من أدب تعبوي، كانت الرقابة صارمة، ومنع من إرسالها، وخاطبه موظف البريد بلهجته فَضَّة: إنه لا يجوز إرسال أي نتاج أدبي خارج البلاد من دون الحصول على موافقة دائرة الرقابة في وزارة الثقافة(٣٤)، ويمتد العنف إلى المجتمع الثقافي، فقد شكك المثقفون بإبداعه وسعوا إلى التقليل من أهمية إنجازه، وحاولوا تسفيه كتابته، والتشكيك بها، وتحجيم إبداعه، وإنجازه على الرغم من تفوقه على أقرانه، والتشهير به، والوصول إلى الإقصاء، ومن ثم القضاء على كفاءته وإبداعه، وإدخاله في حالة من القلق والرعب وزعزعة الثقة قد تصل به إلى الموت أدبيّاً، فبعد فوز قصته بجائزة إذاعة فرنسا الدولية، حاربه أدباء السلطة، وكثرت الادعاءات أنه ليس كاتبها، وليست من بنات أفكاره؛ بل مسروقة، وهو ما عمق إحساسه بالألم، وتحول من إنسان مسالم هادئ وودود، وكاتب يحمل ضميراً فيه هم وجودي نحو الإنسان إلى قاتل عنيف ممنوع من التعبير عن رأيه، وبلغ امتزاجه مع العنف، وتآلفه مع مناظر القتل، ومشاهد الدمار، حد القسوة، وعدم الرحمة حينما وقع عدد من الأسرى الإيرانيين بيد القوات العراقية، الذين استندت له مهمة نقلم إلى المقر الخلفي، كان أحد الأسرى طفلاً صغيراً مصاباً، فرفع بندقيته ووجَّهها نحوه، ولم ينصت إلى توسلات الأسرى الآخرين وصيحاتهم فأطلق النار عليه، لقد خلق منه عنف السلطة كائنًا لا يمت للإنسانية؛ لأن (الإنسان يقع ضحية العنف يصبح هو نفسه قادرًا على ممارسة العنف ضد الآخرين)(٣٥)، ويتحول إلى قاتل، لقد حطم العنف ذاته، وفكر بالانتحار، لكن المحاولة فشلت، فهام في الشوارع يصيح بالناس (هل تعرفون إنني قاتل، لقد قتلت الكثير من الرجال والأطفال ...أنا حيوان متوحش، والتوحش يبرز عميقا في روحي)(٣٦)، وبلغت نهايته حدًّا من القسوة، والدمار، لقد عمل العنف الثقافي على تغيير سلوك الجنود، وطريقة تعاملهم، وتحويلهم من شخصيات أدبية مسالمة إلى شخصيات عنفية متوحشة.

الخاتمة:

كانت روايات أدب الحرب تمجد الانتماء إلى الحزب، وإسهام أعضائه في المعارك، وأفردت صفحات عديدة لبطولاتهم، وكان دور السلطة داعمًا للتوجهات الفكرية تحت خيمة حزب البعث، بينما ركزت روايات أدب المابين على نضال أفراد الحزب الجنود في مقاومة الأسر، وهذا ما سنفصل فيه لاحقاً، أما روايات ما بعد الحرب فتناولت أثر الإكراه الفكري في تهشيم الذات، وتحويل الجنود المسالمين إلى شخصيات عنيفة، فيما أثر العنف الثقافي على ضياع الهوية الشخصية للجنود، وعبر استبدالها بهوية شخصيات أخرى، والانسلاخ من الذات الشخصية إلى ذات أخرى، وتغيرت دلالات الرموز الثقافية كالملابس العسكرية، وعلم البلاد، والرموز الأخرى إلى علامات للموت، والعنف، إن حضور الجندي في أدب ما بعد الحرب يكشف عن تمثيله ثقافيّاً في مقابل تغييب السلطة التي ارتبط حضورها مع الإدانة، فكان صوته هو الأعلى، وشخصيته هي الأبرز.

الهوامش:

(١) العنف الثقافي خطاب خصوم الحداثة، حسن الخاقاني ، جامعة الكوفة، ط١، ٢٠١٩: ١٢.

(٢) صوت الطبول من بعيد، رواية، فلاح رحيم، دار الرافدين، ط١، ٢٠٢٠: ١٩٧.

(٣) زائية الوجد، رواية، عبد عون الروضان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٤: ٣٠.

(٤) الأنماط الثقافية للعنف، باربرا ويتمر، تر: د. ممدوح يوسف عمران، عالم المعرفة، الكويت، ط١، ٢٠٠٧: ٢٥.
(٥) ينظر: علم الاجتماع السياسي أسسه وأبعاده، د. صادق الأسود، جامعة بغداد، ط١، ١٩٩٠: ٢٢٦– ٢٢٨.
(٦) الخائف والمخيف، رواية، زهير الجزائري، المدى، بغداد، ط١، ٢٠٠٣: ٣١٤.
(٧) المصدر نفسه: ٣١٧.
(٨) المصدر نفسه: ٣١٨.
(٩) المدعو صدام حسين فرحان، رواية، خضير فليح الزيدي، دار سطور، بغداد، ط٢، ٢٠٢٠: ١٢٦.
(١٠) خضر قد والعصر الزيتوني، رواية، نصيف فلك، منشورات الجمل، بيروت، ط١، ٢٠٠٨: ٤٠.
(١١) المصدر نفسه: ٩٣.
(١٢) فندق كويستيان، رواية، خضير فليح الزيدي، دار أمل الجديدة، سوريا، ط٢، ٢٠١٥: ١٨.
(١٣) المصدر نفسه: ٤٤ – ٤٥.
(١٤) المصدر نفسه: ١٥٠.
(١٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٥.
(*١) بوصفها أحد رموز الرعب في الحرب، وكلما تدخل الى المدن والأحياء السكنية الهامشية تشرئب الرؤوس منتظرة لتقدم لها هدية الحرب في تابوت ملفوف بالعلم. العلم الذي أضحى أيقونة للشهادة، لا يناله الرافضون للحرب أصحاب التوابيت السود الملطخة بعبارة (خائن).
(*٢) شاعت أسماء شهيد وأسير وفاقد وتحرير وانتصار، وتحولت المحافظات الى أسماء لها مدلولات حربية وعسكرية، تشير الى أسماء قادة أو معارك قديمة، فأصبحت الناصرية ذي قار، والسماوة مثنى، والديوانية قادسية. واستحدثت أحياء سكنية باسم (العسكري، الأسرى، والمفقودين والشهداء والتضحية والتحرير والفداء) وغيرها، والملاحظ أن أغلبها أحياء تفتقر الى الخدمات مقارنة بأحياء الضباط
(١٦) تكرر استبدال الهويات وتغيير الاسم في أكثر من رواية. ففي رواية (ما بعد الحب) فقد أخذ الجندي موسى اسم أخية حينما عاد الى البلاد بعد الهرب من الجبهة الى إيران وسفر أخيه الى استراليا، وكان مبرره الحفاظ على اسم أخيه وذكراه وعيش حياته التي كان يتمناها لولا قسوة النظام، وحينما قبر اسمه كان يعد ذلك وفاء له. ينظر: ما بعد الحب: ١٣٥. ورواية صديقي المترجم، بعد ان يدوس الجندي إبراهيم على لغم فيطلب من صديقه قاسم مساعدته ويشترط قاسم ان يستبدلا هوياتهما حتى ينقذه، وبعد الموافقة ينهي حياته مضحيا لإنقاذه، فيعيش إبراهيم باسم قاسم. صديقي المترجم، رواية، خضير الزيدي، دار حكاية، القاهرة، ط١، ٢٠٢٢
(١٧) قشور بحجم الوطن، رواية، ميثم سلمان، دار فضاءات، عمان، ط١، ٢٠١٢: ٨٣.
(١٨) المصدر نفسه: ٨٣.
(١٩) المصدر نفسه:٥٥
(٢٠) ينظر: بقايا، روشا داخاز، سنا للنشر، ط١، ٢٠٢١: ٧٣
(٢١) المصدر نفسه : ٨٥
(٢٢) الشر الأخير في الصندوق، رواية، فلاح رحيم، دار الرافدين، بيروت، ط١، ٢٠٢١: ٣٠.
(*) كانت السلطة تفرض على كل جندي أن يقدم معلومات كاملة عن عائلته وارتباطها الحزبي، وفيما إذا كان لديه أحد أقاربه حتى الدرجة السادسة قد أدين بجرائم سياسية، أو انتمى لأحد الأحزاب المحظورة، ويتم مقاطعة معلومات الجنود مع التقارير في محل السكن، فيكلف أشخاص معينون بمراقبة البيوت وتقديم معلومات وافية إحصائية عن كل السكان.
(٢٣) كان الجندي حسين يصر على عدم الانتماء مما يعني أنه سيدفع به ليصبح كاسح ألغام يشق الطريق أمام الدبابات وانتهى به المطاف على كرسي متحرك بعد بتر ساقيه في انفجار لغم. الشر الأخير في الصندوق: ٣٦١.
(٢٤) المصدر نفسه: ١٠٥.
(٢٥) الأنماط الثقافية للعنف: ٥٠.
(٢٦) الشر الأخير في الصندوق: ٣٤٨.

(٢٧) (في أحد الأيام حاول ضابط السرية بوشاية من آمر الفوج على ترتيب ميتة كدسيسة منظمة لي وفق السياق المعتاد... حتى تم زجي في أتون الحرب الشرسة، ليس وحدي بل نحن مجموعة كبيرة من المشكوك بولائهم للحزب والثورة من مجموعة الصف الوطني ومجموعة أخرى في خلية المشكوك بهم.. لكن عندما أعود سالما من الكمين يتأسف الضابط أمامي، ثم يرسلني في الليلة الثانية الى أرض الحجاب الوعرة). المدعو صدام حسين فرحان: ١٤٤– ١٤٥.

(٢٨) ليل البلاد، رواية، جنان جاسم حلاوي، دار الآداب، بيروت، ط١، ٢٠٠٢: ٨١.

(٢٩) في معركة الفاو كان من بين ١٧٥ جندياً من ضحايا المعركة، منهم ٧٩ بدرجة نصير، و٩٦ بدرجة مؤيد، وفي معركة مهران سجل ٤٤ جنديا من الضحايا بوصفهم غير منتمين الى الحزب. ينظر: العراق في زمن الحرب: ١٥٨.

(٣٠) بوهيميا الخراب، رواية، صلاح صلاح، دار التنوير، بيروت، ط١، ٢٠٠٩: ٣٠.

(٣١) المصدر نفسه: ١٩٦.

(٣٢) ينظر: من الرمز والعنف إلى ممارسة العنف الرمزي، علي أسعد وطفه، منشورات مجلة شؤون اجتماعية، العدد ١٠٤، ٢٠٠٩: ٦٣.

(٣٣) بوهيميا الخراب: ١٢٢.

(٣٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٥.

(٣٥) من العنف إلى الرمز: ٦٣.

(٣٦) المصدر نفسه: ١١٧

المصادر والمراجع :

١. الأنماط الثقافية للعنف، باربرا ويتمر، تر: د. ممدوح يوسف عمران، عالم المعرفة، الكويت، ط١، ٢٠٠٧.

٢. بقايا، روشا داخاز، سنا للنشر، ط١، ٢٠٢١.

٣. بوهيميا الخراب، رواية، صلاح صلاح، دار التنوير، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.

٤. الخائف والمخيف، رواية، زهير الجزائري، المدى، بغداد، ط١، ٢٠٠٣.

٥. خضر قد والعصر الزيتوني، رواية، نصيف فلك، منشورات الجمل، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

٦. زائية الوجد، رواية، عبد عون الروضان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٤.

٧. الشر الأخير في الصندوق، رواية، فلاح رحيم، دار الرافدين، بيروت، ط١، ٢٠٢١.

٨. صديقي المترجم، رواية، خضير الزيدي، دار حكاية، القاهرة، ط١، ٢٠٢٢.

٩. صوت الطبول من بعيد، رواية، فلاح رحيم، دار الرافدين، بيروت، ط١، ٢٠٢٠.

١٠. العراق في زمن الحرب الجندية والاستشهاد وإحياء الذكرى، دينا رزق خوري، ترجمة: ايمن حداد، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ط١، ٢٠٢٢ .

١١. علم الاجتماع السياسي أسسه وأبعاده، د. صادق الأسود، جامعة بغداد، ط١، ١٩٩٠.

١٢. العنف الثقافي خطاب خصوم الحداثة، حسن الخاقاني، جامعة الكوفة، ط١، ٢٠١٩.

١٣. فندق كويستيان، رواية، خضير فليح الزيدي، دار أمل الجديدة، سوريا، ط٢، ٢٠١٥.

١٤. قشور بحجم الوطن، رواية، ميثم سلمان، دار فضاءات، عمان، ط١، ٢٠١٢.

١٥. ليل البلاد، رواية، جنان جاسم حلاوي، دار الآداب، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.

١٦. المدعو صدام حسين فرحان، رواية، خضير فليح الزيدي، دار سطور، بغداد، ط٢، ٢٠٢٠.

١٧. ما بعد الحب، رواية، هدية حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.

١٨. من الرمز والعنف إلى ممارسة العنف الرمزي، منشورات مجلة شؤون اجتماعية، العدد ١٠٤، ٢٠٠٩.

وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ
بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ
إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ
أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ
دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ
بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ
أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا
ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ
زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن
يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ
ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا
تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا
تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ
ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾

International standard number
2617 -419x
Electronic classification number
26042
Accreditation number
In the Iraqi Journalists Syndicate
113/ for the year 2005

Website address
Republic of Iraq
Baghdad / Palestine Street
Near the Turkmen Brotherhood Club
National Center for Quranic Sciences
Communications
Journalwalqalam
07707935971
Email:
alwatnywalqalam@gmil.Com
P.O. Box: 33001

فصلية مُحَكّمة تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية و العلمية والفكرية والقرءانية
العدد (٤٨) السنة السابعة عشرة ربيع الأول ١٤٤٦ هـ تشرين الأول ٢٠٢٤ م

General supervision
Professor Dr Haider Hassan Al-Shammari
Head of the Shiite Endowment Officeeditor
Prof. Dr. Haider Abdel Zahra
managing editor
M.D. Rafi Muhammad Jawad Al-Amiri
Editorial staff
Mr. Dr. Talal Khalifa Salman
A. Dr. Omar Abdullah Najm Al-Din
Prof. Dr. Hazem Tarish Hatem
Prof. Dr. Hamid Jassim Abboud Al-Gharabi
A. M. D. Muhammad Kazem Kamer Al-Rubaie
A. M. Dr. Aqeel Abbas Al-Raikan
A. M. D. Ahmed Hussein Hayal
A. M. D. Qasim Khalif Ammar
A. M. D. Maha Mansour Amer
M.D. Maysoon Hassan Saleh Al-Husseini
Editorial staff from outside Iraq
A. D. Maha, good for you Nasser
Lebanese University / Lebanon
Prof. Dr. Khawla Khamri
Mohamed Al Sharif University / Algeria
A. Dr. Imad Ali Abdel Latif Ali
Qatar University/ College of Arts and Sciences
A. Dr. Muhammad Reda Sotouda Nia
Isfahan University/Iran